بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وهادى البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، الذى أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين وختم برسالته رسالات الأنبياء، وبشريعته شرائعهم، وأكمل له الدين، واتم به عليه النعمة سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على دربه، إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فإن الإسلام، إذا أردنا تلخيصه فى كلمتين اثنتين، قلنا: هو عقيدة وسلوك أو إيمان وعمل.

والعلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو (علم التوحيد).

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ماله من حكم شرعى هو (علم الفقه).

وهناك علم اختص بالأعمال الباطنة، أى ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كانت أو مبغوضة، وهو (علم التصوف)، أو (السلوك).

ومن أئمتنا من وضع هذه العلوم كلها جنباً إلى جنب فى نسق واحد، كما فعل ذلك الإمام أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) فى كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) الذى استوعب كل ما يهم المسلم معرفته من قواعد العقائد التى يهتم بها علم الكلام، أو التوحيد، ومن الأعمال الظاهرة – عبادات ومعاملات – التى يهتم بها علم الفقه، ومن الأعمال القلبية الباطنة – مهلكات ومنجيات – التى يهتم بها علم التصوف، والتى هى لب الكتاب وجوهره.

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه، وسماه (الفقه الأكبر) كما رُوى ذلك عن الإمام أبى حنيفة.

ومنهم من أدخل ما لا بد من تعلمه من العقائد والآداب فى الكتب الموضوعة أساسًا للفقه، كما نرى ذلك فى كتاب (الرسالة) لابن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦ هـ) وهى مشهورة فى الفقه المالكى، ومشروحة لأكثر من واحد، فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق، مما أُمر به أو نُهى عنه.

وكما فعل ذلك الإمام الظاهرى أبو محمد ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) فى كتابه المعروف (المحلَّى) فقد بدأه بأهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول.

ولكن الذى اشتهر فى الاصطلاح، واستقر عليه الأمر، هو إفراد علم الفقه بالأفعال الظاهرة للمكلفين، من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام، والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع، وعلى أساسه قامت (مجامع الفقه).

وعلى ضوء هذا التحديد نتحدث هنا عن (تيسير الفقه) أو (الفقه الميسّر المعاصر). وعن (أصول هذا الفقه الميسر)، تمهيدًا للكتابة فى أبواب هذا الفقه من عبادات ومعاملات وآداب، وأحكام تتعلق بالأسرة، وبالمجتمع، وبالدولة، وبالعلاقات الدولية، وغيرها، مما يدخل فى نطاق الفقه، الذى يستوعب الحياة كلها: فردية واجتماعية، ولا يدع فعلا من أفعال المكلفين إلا وأصدر فيه حكما من الأحكام الشرعية الخمسة المعروفة، وهى: الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة والإباحة.

هذا. وقد أصدرتُ منذ سنوات كتابا فى هذا الجانب أو هذه السلسلة، هو كتاب (تيسير الفقه فى ضوء القرآن والسنة: فقه الصيام). ولكن ترتيبه فى هذه السلسلة ليس الأول، إنما استجبنا لاقتراح بعض الأخوة: أن ننشر ما ينجز، بغض النظر عن الترتيب. ويمكن اعتبار كتاب (الحلال والحرام) جزءا من هذه السلسلة أيضًا.

والآن نصدر هذا الكتاب الذى يعد فاتحة لهذه السلسلة، بما يحتوى من

أصول ومقدمات تلقى الضوء على منهجنا فى هذا الأمر الجلل، وعن شرعية التيسير، ولماذا نتبناه؟ وما المقصود به فى مجال الفهم، وفى مجال العمل والتطبيق؟ وعن أصول هذا الفقه الميسر. وهى أصول الفقه الإسلامى نفسها، فى ضوء فهم جديد يتّسم بالتكامل والتوازن، ويهدف إلى التجديد والتيسير.

وبهذا تتعانق هذه السلسلة فى فقه الأعمال الظاهرة والسلسلة الأخرى فى فقه الأعمال الباطنة (تيسير فقه السلوك فى ضوء القرآن والسنة : فى الطريق إلى الله) وقد صدر منها ثلاثة أجزاء. (هى الآن أربعة بحمد الله).

وقد كان شيخنا السيد سابق حفظه الله ، أصدر من أكثر من ربع قرن كتابه الشهير (فقه السنة) ونفع الله به كثيرين ، وأنا منهم ، ولكن العلم لا يقف عند حد ، ولكل شيخ طريقة ومنهج ، والأمة فى حاجة إلى أكثر من كتاب ، وأكثر من رؤية ، وهذا ما كان عليه علماؤنا السابقون رضى الله عنهم .

والله نسأل أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يهب لنا نورا نمشى به فى الظلمات، وفرقانا نميز به بين المتشابهات، وأن يهدينا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

كما نسأله تبارك وتعالى أن يهب لنا العافية والعون والبركة والتوفيق، لإكمال هذه السلسلة الفقهية وشقيقتها السلوكية، على ما يحب ربنا ويرضى، وأن ينفع بهما المسلمين فى كل مكان وأن يتقبل منا عملنا، ويرزقنا الإخلاص فيه. إنه سميع مجيب ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران : ٨].

* * *

الدوحة { صفر الخير ١٤١٧ هـ[١] / يوليو ١٩٩٦م

الفقير إلى ربه

يوسف القرضاوى

---

(١) كتبت هذه المقدمة فى تاريخها المذكور، أى منذ نحو ثلاث سنوات على أمل أن أدفع الكتاب للمطبعة، وقدر الله أن يتأخر إلى اليوم (صفر الخير ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩م) وكل شئ بأجل مسمى. والخير فيما اختاره الله جل شأنه .